

القصص في الحديث النبوي

تأليف : د. محمد بن حسن الزير

عرض : د. خليل أبو ذياب



يعدّ كتاب « القصص في الحديث النبوي » للدكتور محمد بن حسن الزير من أطيب الدراسات التي تستوقف القارئ وتدعوه إلى قراءتها وتقديرها لأكثر من سبب :

اللون الإبداعي الأدبي في التراث العربي القديم فألفاه يتجلّى في تيارين كبيرين : التيار الجاهلي شعره ونثره وأمثاله وأخباره ووقائعه وأيامه ، حتى إنه يرى « أن القصة العربية قديمة قدم العرب أنفسهم » ، فقد شاعت مظاهر القصّ في أشعارهم / المعلقات وغيرها من المطولات خاصة ، كما شاعت في صراعاتهم وأيامهم ، كذلك جسّدتها رحلاتهم المستمرة في الصحراء التي صورتها أشعار الأطلال ، وكذلك أمثالهم التي حملت آثاراً واسعة وعميقة لهذا الفن البديع ، كما كانت مُتدياتهم ومجالس سمرهم ميادين فساحاً للقصّ والحكي وسرد الأخبار والحكايات والأساطير . .

لجدة موضوعه وطرافته ودقّة عرضه ومعالجة قضاياها وجمال أسلوبه وقوة عارضة صاحبه وحرصه على مناقشة مختلف الآراء التي يطرحها لإظهار الحقيقة - على الأقل من وجهة نظره الخاصة - مما يجسّد شخصيته البحثية في صورة دقيقة واعية . . ولغير ذلك من الأسباب التي تنصح عن نفسها بمجرد الشروع في قراءته وتتبع قضاياها . .

وتكمن أهمية الكتاب في معالجته لموضوع « القصة » في الحديث النبوي الشريف . .

وقد يُخيّل للمرء أن هذا الضرب من الإبداع الأدبي « فن القصة » قد يكون محدوداً جداً أو نادراً فيما وصل إلينا من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنه لن يكون على مستوى نظيره في القرآن الكريم والأدب العربي القديم ؛ نظراً لندرة الاطلاع عليه وقراءته وتأمله ؛ وهذا ما يجعل للبحث ميزة خاصة ترفع من شأنه وتُعَلّي من قدره خصوصاً إذا عرفنا أن الباحث وقف على زهاء أربعين ومائة قصة تناثرت في تسعة كتب من أمهات مصادر الحديث النبوي . . وهو رقم مذهل يجعله جديراً بالدرس والاهتمام بهذا اللون التعبيري المؤثر الذي تَحَذّه الرسول صلى الله عليه وسلم لتحقيق أغراض تربوية وتهذيبية وإيمانية وغيرها . . .

وقد مهّد الباحث لدراسته بالكشف عن مظاهر هذا

أما التيار الآخر فهو الإسلامي الذي شاع في القرآن الكريم والحديث الشريف حيث وردت كثير من القصص والأخبار عن الأنبياء والأمم الغابرة للعظة والعبرة ؛ ومن أبرزها قصة موسى ويوسف ونوح وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام . . وقد كان للقرآن منهج خاص في سرد تلك القصص حيث كانت غالباً ما تأتي مجزأة منجّمة في أكثر من سورة فيما عدا قصة يوسف عليه السلام ، في حين كان منهج القصص النبوي يترسّم خط المنهج العربي ، وهو منهج مغاير لمنهج القصص القرآني الأنف الذكر . .

ومما يُحمد للباحث تبهُهُ للفروق الحادة في المنهجية الفنية ما بين القصة العربية القديمة / الجاهلية والإسلامية

الشرطي

بقلم / عمرو أحمد عبدالعزيز

أحمد وائل

وقف الشرطي يتابع حركة السير في الطريق ، ينظر إلى السماء ، فإذا بسحابة كبيرة قد حجبت الشمس ، ينظر إلى الأرض فإذا بالحجارة تملأ المكان . . . يتذكر أيام النضال . عندما كان هو وصديقه يقذفون قوات الاحتلال الإسرائيلي بالحجارة ، ولحين أجبرت هذه الحجارة العدو على الاعتراف بالدولة الفلسطينية وإقامة الحكم الذاتي ، يلمح الشرطي صديقه يقذف دورية إسرائيلية بالحجارة . . أخذ الهواء يعصف به . . !

ماذا يفعل . . ؟؟

أيقبض عليه ويضعه في السجن أو يتركه . . ، وقبل أن يحسم أمره ، سقط صديقه غارقاً في دمائه . . . ثارت مشاعر الشرطي ، وتداخلت عدة صور أمام عينيه . .

أمه وهي تحتضنه عندما كان صغيراً ، وتحكي له كيف أكل الثور الأسود . عندما كان يلعب هو وصديقه ، وهم يقذفون معاً الحجارة على قوات الاحتلال .

استل الشرطي سلاحه وصوبه تجاه الدورية الإسرائيلية . . وعندما أفرغ سلاحه أمسك بحجر تلو الآخر يقذفه عليهم . . .

والسحابة التي كانت تحجب الشمس بدأت تبتعد ، والشمس أخذت تشرق من جديد . .

في القرآن والحديث وبين القصة عند الأمم الأخرى في القديم والحديث ، وقد كان صادقاً مع نفسه وبحته صريحاً في معالجة هذه القضية حتى لا تختلط الأمور وهو يعلن منذ الدخول في بحثه أنه لا يريد القصة بمفهومها الحديث وما ارتبط به من دلالة متطورة ، وإنما تلك النصوص التي يتحقق فيها المدلول العام لفن القصة وما يقوم عليه من بداية ووسط ونهاية ، لما بين المنهجين من فروق واسعة تتناول مقومات الفن القصصي : الحديث والسرد والحبكة والحوار والشخوص والصراع والعقدة والحل . . إلخ . .

وهو بهذا يؤكد استقلالية المنهج الإسلامي في القصص وأبعاده الخاصة ، وهو منهج يتمحور حول ثلاث قضايا رئيسية هي : « الالتزام بالهدف أو الغاية التي لا تجاوز غايات القرآن العامة وأهدافه الكبرى » و « الواقعية » الإسلامية المغايرة للواقعية الغربية التي فجّرتها أبحاث فرويد النفسية الجنسية المكشوفة . . ثم « الوسيلة النظيفة » التي امتاز بها القصص النبوي في تصوير مظاهر الضعف البشري من خلال الألفاظ الكنائية والعبارات العفيفة عند عرض المواقف الفاحشة وعدم سرد المشاعر الحسية المباشرة والتركيز على مواقف السمو والعفة والانتصار على النفس والشيطان والنوبة . .

وقد التزم الباحث في دراسته منهجاً دقيقاً يتمثل في الاستقصاء الواسع للنصوص القصصية الواردة في أشهر مصادر البحث وإخضاعها للدراسة التحليلية الدقيقة لإبراز معالمها وأبعادها وغاياتها ومناهج القصص فيها ومظاهرها الأسلوبية والفنية . . ولذا حرص على دراسة البنية القصصية العامة « البداية والوسط والنهاية » وخصائص كل وحدة منها وآثارها وما يمتاز به ذلك القصص من إحكام النسج ودقة الأسلوب . . وفي فصل آخر تناول أبعاد الشخصية في القصص النبوي . . كما عني بالكشف عن أنواع القصة النبوية : الواقعية - التمثيلية - التاريخية - الغيبية . . إلخ . .

وإننا نعتقد أن هذه الدراسة خطوة جادة في سبيل تأصيل الأدب الإسلامي جديدة بالتقدير والتنويه .

إضاءة في خيمة الليل .. مرثية فتي القرية

شعر / علي فريد

و على خديه تمثال وضاعة
غازلاً من جبهة الشمس رداءه
ويوشي بالحواديت مساءه
وعلى متنيه شالٌ وعباءه

* * *

أي شيء منك يا جليل الرداءه
«شجر الهالوك» أو موت الفجاءه
سرقنت مني مفاتيح القراءة
مشعلاً يعلن لليل إباءه
كفّه منجل «قُطْرِيَّ بن الفجاءه»
وانتبه لا يغفرُ الليلُ الجراءه
سمعتُ أذناه قاموسَ البذاءه
خنقت كل براهين البراءه
تاركاً في جبهة القيد حذاءه

* * *

مثله ما انتشرت فينا الدناءه
من تُرى أطفأ باليأس رجاءه
سلبت من وجهه الحر ضيائه
لمعت في خيمه الليل إضاءه

كان في عينيه قنديل براءه
هبّ من لحد الدمى مُتفَضّلاً
يرسم الصبحَ على محارائه
جاء في كفيه حباتُ ندى

أي شيء تبثغي ؟ لا أبتغي
أنت جليلٌ في ثناياك انطوى
الشعاعات التي أقرؤها
من هنا جاءت وأبقى ها هنا
لحظةً ، وانتفض الصمت وفي
هذه مملكة الليل أفقُ
لمحت عيناه أشلاء الضحى
نبئت في جيده مشنقه
وانثنى ببسم من عليائه

قليل لي : لو كان في تاريخكم
كان يا ما كان ميلاد رجاء
سألوا عنه الزنازين التي
أطبق الصمت ولكن فجاءه

قالت لي الذاكرة .. هكذا .. !!

شعر / محمود شرف

جاءت تحدثني التواريخ القديمة في أسي

أشجانها كسف من التاريخ ..

ترتعد اشتياقاً للأفول

هناك تحت الثلج .

أطفال الدخان يُرتقون فتوق أرضهمو العجوز ...

يصحون الثلج ..

والبارود ..

ألعاب الصواريخ المميّة ..

سحنة الشيطان ...

يا لعجائب الإنسان .. !!

لا يستأثرون بدمعة ..

يتساقط الأطفال في شبق

يُروى أعين الإنسان

ياللعجائب الإنسان

* * *

قطع من ركب الموت تهوي

فوق أشلاء البيوت ..

تبعثر الأجساد

حيث ستنتهي محن البشر ...

.. وستنتهي ...

إذ لا وجود هناك — أو حتى هنا —

تهوي الميادين العتيقة

في دمي المتخثر المسكوب فوق صحيفتي ..

جوف التوابيت العقيمة

تنضوي تحت انهيارات الجليد أصابع الشيطان ..

عنوان أخير كان يرتعد اشتياقاً

للؤلؤ ..

الأرض ..

والبللور ..

والأرواح في ميت الثلوج ..

الثلج منتشر ..

ودمعي كالح ..

فتقت مساربهِ الصواريخ التي عبرت

وابقت في الضلوع صباية الأموات

والليل الكثيب ..

جاءت تحدثني التواريخ القديمة .. :

طفلة ..

ومدائن الأفراح ..

والألوان في وهج تغمغم ..

والبيوت هناك تحتضن الدخان الدافئ.

المطلوق في عرصاتها ...

تمتاح أسرار البروغ